ابن عرفة الورغمي التونسي
دراسة في سيرته وعلومه الشرعية

د. أحلام صالح وهب
جامعة الموصل/ كلية التربية الأساسية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٧/٣/١٩ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٧/٦/٤

ملخص البحث :

تناول البحث دراسة لسيرة محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أحد أعلام الفقه في المغرب الذي بلغت شهرته آفاق العالم الإسلامي والذي عبر عنه بأنه مبعوث القرن الثامن لتجديد ما وهي من الثقافة الإسلامية وبعثها وإحيائها، وقد نهجت بدراسة هذه السيرة نهجاً ابتدأته بحياته والتركيز على مؤلفاته الشرعية وما قدمه لعصره في مجال الفقه والحديث والتفسير وختمت الدراسة بالكلام عن القيمة العلمية لسيرة ابن عرفة الورغمي.

Ibin Arafa AL-Warghami Al-Tunisi A study in his biography and Jurisprudence

Dr.Ahlam Saleh Al-Wahab
University of Mosul/College of Basic Education

Abstract:

The research deals with the biography of Muhammad bin Muhammad bin Arafa Al-Warghami, Al-Tunisi, Al-Malike, one of Jurisprudence pioneer in Morrowco; which his reputation speared all over the Islamic world as he reconstructed the Islamic Education. The research discuses his biography, his poet books, Jurisprudence, Tradition, deceleration, and finally the scientific Values of his personality.

المقدمة

يعد ابن عرفة الورغمي احد أعلام الفقه الاسلامي في عهد الدولة الحفصية، والذي نشطت على يده حركة التفسير في بلاد المغرب، فقد أعتمد على تفسير ابن عطية وانتهج طريقة التحليل والإملاء والتي تتطلب الإكثار من إيراد أقوال العلماء في كل المسائل مع فسح مجال للسؤال والبحث[1]. فكانت ثقافته الشرعية الإسلامية في الفقه والحديث والأصول بعيدة المدى عميقة الأثر في العالم الإسلامي والتي برهنت عليها تأليفه القيمة في مختصره الفقهي وفي الأصلين وله في العلوم العقلية عن القواعد والفوائد ما دل على تبحره وغزارة علمه بالإضافة إلى ضلوعه في العلوم اللغوية والأدبية وكان شعار ابن عرفة في تأليفه ومدرسته الإفادة المستمدة من الجهد الخاص ولا يقيم وزناً للمؤلف الذي ينسخ من الكتب ويدعي التأليف[2]. وكان تلامذته يكتبون ما يمليه عليهم أثناء دروسه.

وتضمن المبحث الأول سيرته وحياته وتناول المبحث الثاني شيوخه والمبحث الثالث تلاميذه ثم عصره وختمت الدراسة بالكلام عن القيمة العلمية لسيرة ابن عرفة الورغمي التونسي.

أولاً: مولده ونشأته وحياته

هو محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي الامام العلامة المقرئ الفروعي الأصولي المنطقي شيخ الشيوخ[3]، يكنى بـ أبي عبد الله ولد في تونس سنة ٧١٦هـ/ ١٣٠٦م[4]، تبوآ المكانة العالمية بين علماء المالكية، نشأ في بيت علم ودين – فقد كان والده من العلماء

---

(١) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بابناء الغمر، ط١، بيروت ١٩٧٥، ج١/ ١٩٢، ٣٦٧؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، في اعيان المائة الثامنة، بيروت ١٩٩٧، ج ٢/ ٢٥٤؛ ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، ط تونس ١٩٦٦م، ص٢٣-٢٨.

(٢) العامري، محمد الهادي، تاريخ المغرب العربي، تونس ١٩٧٤م، ص١٦٠.

(٣) ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، (د. ت)، حـ٢/ ٣٣١؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، جـ ١/ ٣٦٧؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ج٩/٢٤٠؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين، ص٣١، بيروت، ١٩٦٩م، ٢٧٢/٧؛ التنبكتي، احمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٧٤؛ ابن الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تونس، ١٩٧٠م، ط ق٣/٥٧٦؛ وينظر: محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر الإسلامي، تونس، ١٩٧١م، ٦٥.

(٤) عبد الرحمن خلدون السخاوي، التعريف بابن خلدون وخلته شرقاً وغرباً، دار الكتاب، بيروت ١٩٧٩، ص ٢٤٩، المصدر السابق، جـ٩/٢٤٠؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ذيل تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، حيدر اباد ١٣٣٣هـ، ص ١٣٩؛ ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، منشورات دار الافاق، بيروت/ د. ت، جـ ٧/ ٣٨؛ وينظر: احمد بن عامر، الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢م، ص٦٥-٧٠.

المعروفين في عصره(١)، تلقى ابن عرفة مختلف العلوم الدينية واللغوية ودرس بجامع الزيتونة في تونس ورسخ قدمه في المناهج بين شرعية وعقلية وأدبية ورياضية واشتهر بين شيوخه بالجد والاجتهاد والعبادة ومهارة الإتقان في العلوم الشرعية ثم انتُصب للتدريس فاشتهر بغزارة العلم ومتانة الدين وسلمت له المهارة حتى صار مرجعاً، فعظمت سمعته واصبح اشهر عالم بالبلاد ولمْ يَخلِف بعدهُ مثلَهُ(٢).

في سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م تولى إمامة جامع الزيتونة وقدم لخطابته، وأم بها خمسين عاماً(٣). في سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م أُنتِخب ابن عرفة للافتاء بالعاصمة فشاع ذكره وذاع صيت عمله وازداد الانتفاع بعلمه واعتبر إماماً فقد كان حافظاً للمذهب ضابطاً لقواعده حتى انتشر علمه شرقاً وغرباً(٤).

في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م(٥)، رحل إلى المشرق لاداء الحج والعمرة وبعدها اقام بمكة مدة فأقبل عليه مشاهير علماء الحرمين الشريفين والبلاد المصرية للاخذ عنه(٦)، ذكره ابن الجزري فقال: "ولم تزل الحجاج ترد علينا باخباره السارة حتى لحقت في الديار المصرية سنة ٧٩٢هـ فقدمها حاجاً فاجتمعنا به وحججنا جميعاً واجتمعنا بالحرم الشريف واستجزته تجاه الكعبة فاجازني واولادي ثم رجعنا الى الديار المصرية، فاجتمعت به وانشدته وانشدني، وتوجه الى بلاده ولم أر مغربياً افضل منه..."(٧)، وقال أيضاً "فقيه تونس واعلمها وعالمها وخطيبها تبحر في العلوم وفاق وفاق في الاصلين والكلام وتقدم في الفقه والتفسير والنحو...."(٨)، بينما يشير السخاوي فيقول: "قال ابن ظهيرة في معجمه انه قدم علينا حاجاً سنة ٧٩٦هـ فلم يتفق لي لقاؤه ولكنني استدعيت منه الاجازة فأجاز لي وكتب لي ما نصه" "أجزت كاتبها ومن ذكر معه جميع ما ذكر في إجازة

---

(١) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢/ ٢٥٤؛ ابن خلدون، الرحلة، ص ٢٤٩.

(٢) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مصر، ١٩٦٥م، ص٢٨٥؛ الحنبلي، المصدر السابق، ج٧/ ٣٨.

(٣) ابن السراج، الحلل، ط ق٣/٥٧٨؛ كحالة، المصدر السابق، ص ٢٨٥؛ الحنبلي، المصدر السابق، ج٧/ ٣٨؛ ابن حجر، انبار الغمر، ج١/ ١٩٢.

(٤) ابن فرحون، الديباج، ج٢/٣٣١؛ ابن الجزري، غاية النهاية، ج٢/ ٢٤٣؛ ابن حجر، انباء الغمر في ابناء العمر، ج٢/ ١٩٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ٢٤٠؛ السيوطي، بغية الوعاة، القاهرة ١٩٧١، ج١/ ٢٢٩ ورقة ٨٣٣؛ الداؤودي، طبقات المغرب، القاهرة (د. ت) ج٢/ ٢٣٥؛ احمد بابا، نيل الابتهاج.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، حـ٩/٢٤٠-٢٤٦؛ محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، مطبعة السعادة (القاهرة ١٣٤٨هـ)، ج٢/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٦) السخاوي، المصدر السابق، حـ٩/٢٤٦؛ الشوكاني، المصدر السابق، ج٢/ ٢٥٥.

(٧) ابن الجزري، غاية النهاية، ط بيروت، ١٩٧٦م، جـ ٢/٢٤٣.

(٨) ابن الجزري، المصدر السابق، حـ٢، ص٢٤٢-٢٤٣.

تامة بشرطها المعروف جعلني الله واياهُ من أهل العلم النافع...."[1]، ولا نعرف فيما إذا كان لأبن عرفة رحلتين الى المشرق أم رحلة واحدة بدلالة اختلاف التواريخ التي سبق ذكرها والظاهر ان كلام ابن الجزري هو المعتمد عليه وان تحريفاً قد وقع عند السخاوي وبالتاريخ الذي ذكره ابن الجزري ويؤيده ابن فرحون انه دخل مصر ولقب الملك الظاهر فأكرمه وأوصى امير الركب نجد منه سنة ٧٩٢هـ[2]، كان ابن عرفة كثير الاشتغال بالعلم والتجويد والقراءات ولذلك كان لا يرى الا في الجامع او في حقله الدرس لا يغشى سوقاً أو مجلس حكم إلا إذا استدعاه السلطان للتشاور في الأمور الدينية[3]، إضافة الى اهتماماته اللغوية والأدبية وكان شعار ابن عرفه في مدرسته حسب قول محمد العامري الافادة المستمدة من الجهد الخاص فلا يقيم وزناً للمؤلف الذي ينسخ في الكتب ولا يحفل بدرس لا يُقدر الاستاذ فيه على زيادات مفيدة من عنده او حل مشكل تعذر حله ويبدو وان العامري قد اشتق هذا الاستنتاج من قول ابن عرفة:

اذ لم يكن في مجلس الدرس نكتة	**وتقرير ايضاح لمشكل صورة**
وعَزْوَ غريب انتقل فتح مقفلٍ	**او شكلٍ أبْدَتهُ ونتيجةَ فكره**
فدع سعيه وانظر لنفسكَ واجتهد	**واياكَ تركاً فهو احتج خلقه**

فقد تخرج من مدرسة أبن عرفة الكثير من العلماء اللذين استفادوا من تأليفه القيمة ومن اشتهر بصحبته احمد المريض شارح عقيدة الضرير[4].

ثانياً: شيوخهِ

درس ابن عرفة على شيوخ المغرب وأخذ عنهم الكثير من العلوم الشرعية، وحدث عن جماعة ممن اخذ عنهم التفسير والحديث والفقه، واجاز لغير واحدٍ ممن كتب عنه منهم ابن حجر العسقلاني[5]، وأبرز شيوخه الذين أخذ عنهم:

---

(١) السخاوي، المصدر السابق، حـ٩/٢٤٦.

(٢) ابن فرحون، الديباج، جـ ٢/ ٣٣٣؛ ابن خلدون، الرحلة، ص ٢٤٩؛ وينظر: محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر الإسلامي، ص٦٧.

(٣) ابن فرحون، المصدر السابق، ص٣٣٣؛ ابن خلدون، الرحلة، ص ٢٤٩؛ ابن السراج، الحلل، ط ق٣ ص٥٧٨؛ ابن القاضي، دار المجال، ج٢/ ص ٢١٩.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، حـ٩ ص٢٤٦؛ وينظر: ابن عاشور، المرجع السابق، ص٦٧؛ احمد بن عامر، الدولة الحفصية، ص٧٠؛ محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي (سبعة قرون من الازدهار والذبول)، الدار التونسية، ١٩٧٤م، ص١٦٠-١٦٣.

(٥) محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص١٦٣.

أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري فقيه مالكي من قضاة تونس وعلمائها توفي سنة ٧٤٩هـ(١)، له شرح جامع الامهات لأبن الحاجب في فقه المالكية وديوان فتاوى، سمع منه ابن عرفة الموطأ لمالك والفقه والأصول وروى عنه رسالة أبن أبي زيد القشيري(٢)، وقرأ القراءات والقرآن الكريم على ابي عبد الله محمد بن محمد بن حسن بن سلامة الانصاري بقراءة الأئمة الثمانية(٣)، وأبو عبد الله محمد بن هارون الكناني التونسي فقيه مالكي وصفه ابن عرفة ببلوغه درجة الاجتهاد المذهبي توفي سنة ٧٥٠هـ وله شرح مختصر لابن الحاجب وشرح المدونة وشرح المعالم الفقهية ومحمد بن حسن الزبيدي، وقرأ بالروايات على ابي سلمة وروى عن ابي القاسم بن الطيلسان عن عبد الحق بن محمد بن عبد الحق عن أبي عبد الله محمد بن فرج مولى أبن الطلاع عن أبي محمد مكي عن أبي زيد(٤)، وقرأ علوم الحديث لأبن الصلاح بقراءته له على أبي العباس أحمد بن موسى بن أبي الفتح البطرني الانصاري التونسي محدث تونس وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي سماعاً وانابه مؤلفه سماعاً وصحيح مسلم والبخاري(٥).

ومن شيوخه في العلم أبو عبد الله محمد بن جابر الوادآشي توفي سنة ٧٤٩/هـ سمع منه الصحيحين سماعاً لبعضهم وأجازه لجميعهم ومحمد بن سعد ومحمد بن هارون الذْينِ اشتهرا بالتفسير، وابن عمران بن الجباب وابن سليمان البنطي الفاسي واخذ التفسير أيضا عن الشريف التلمساني من كتابه "تفسير القرآن الكريم والرقائق"(٦).

وقد اشتهر ابن عرفة بين شيوخه بالجد والاجتهاد والمهارة في المعقول والمنقول وصار المرجوع اليه بالمغرب وتصدى لنشر العلم مع الجلالة عند السلطان وذلك لتدينه والتوسع في الدنيا وكثرة الصدقة والاحسان الى طلبته.

---

(١) محمد ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، ١٣٤٩هـ، جـ٢/٢٢٠.

(٢) محمد العامري، تاريخ، ص١٦٣.

(٣) بن عاشور، أعلام الفكر الإسلامي، ص٦٧؛ وينظر: محمد العامري، تاريخ المغرب، ص١٠٣؛ وينظر: احمد بن عامر، الدولة الحفصية، ص٧٠.

(٤) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧/ ٣٨.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، حـ٩/٢٤٠-٢٤٢؛ الزركلي، الأعلام، جـ٧/٤٣.

(٦) ابن الجزري، طبقات القراء، بيروت، ١٩٦٥م، حـ٢/٢٣٥؛ابن العماد الحنبلي،المصدر السابق،ج٧/ ٣٨.

ثالثاً: عصره

شهد المغرب العربي في عصره نهضة لم يشهدها من قبل فقد تجددت العناية بدراسة الحديث رواية ودراية بتأثير امراء الدولة الحفصية، الذين كانوا من مبادئهم الاقبال على دراسة الحديث واستنباط الأحكام منه ومنهم السلطان يحيى ابو بكر (٧١٠-٧٤٧هـ/ ١٣١٠-١٣٤٦م) الحفصي[١] والذي في عهده ولد بن عرفة سنة ٧١٦هـ، فأنشأت المدارس والجوامع التي تدرس فيها مختلف العلوم الشرعية والعلمية[٢]، كما تميزت المناهج التي تعتمد على جمع عناصر الثقافة الاسلامية التي تمكن الطالب من التحقق والابتكار فكانت هذه العلوم تكويناً وتوجيهاً من اجل توسيع نطاق المعرفة بالبحث والتحرير[٣]، اضافة الى الموقع الجغرافي الذي تتمتع به تونس والذي جعلها ملتقى العلماء الذاهبين الى المشرق من المغاربة والأندلسيين ولما فيها من رجال كان لهم المكانة العلمية المرموقة والشهرة الواسعة وفي هذا المكان نشأ أبن عرفة، فاعتنى بالرواية والحرص على السماع كما تميز عصره بكثرة المكتبات منها مكتبة جامع الزيتونة المسماة (العبدلية) التي احتوت على الكتب النفسية والتي بلغ عددها ستة وثلاثون ألف مجلد[٤].

وكان لأبن عرفة دور كبير في هذا المجال فقد نشطت على يده حركة التفسير فقد اعتمد على تفسير ابن عطية منتهجاً طريقة الاملاء والتحليل التي تتطلب الاكثار من أقوال العلماء في كل مسألة مع فسح المجال للسؤال والبحث وكان تلاميذ أبن عرفة يكتبون تفاسيره لما يمليه عليهم أثناء دروسه[٥]، وكتابه في التفسير طبع مؤخراً ولكن المطبوع لا يحوي سوى سورة الفاتحة وسورة وسورة البقرة ولا نعرف فيما إذا كان ابن عرفة قد اكتفى بذلك أو أن الكتاب وصلنا مبتوراً.

إضافة الى ذلك اهتم بعلم الحديث ونبغ فيه فقد وصفه السخاوي فقال "شيخ الاسلام في المغرب"[٦]، وكان أبن عرفة لا يمل من التدريس والسماع وكان تلاميذه يلتقطون قراءته مما يدل على توسع الفنون وتقدمها[٧].

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٦٠.

(٢) احمد بن عامر، الدولة الحفصية، ص١٤٥.

(٣) احمد بن عامر، المرجع السابق، ص١٤٦.

(٤) احمد بن عامر، المرجع نفسه، ص١٤٦.

(٥) محمد الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجالِهِ، تونس، ١٩٦٨م، ص٢٣-٢٨.

(٦) ابن عاشور، المرجع السابق، ص٢٣-٢٨.

(٧) الضوء اللامع، ج٢ ص٢٤٠.

رابعاً: تلاميذه

تخرج على يد ابن عرفة جمع من طلبة العلم نبغوا بعده وأصبحوا من العلماء المشاهير، وكان من عادته في التدريس أن يأمر الطلبة بتوجيه الأسئلة لبعضهم ويسمع الأجوبة عليها فيقوم مقام الأستاذ المرشد[١]، فكان ذلك حافزاً لهم لحل مشاكلهم بأنفسهم فكانوا يفضلونه على غيره ويختارون درسه من بين مجالس التدريس وكانوا يكتبون في مذكراتهم الفوائد التي يستفيدون منها متى الف بعضهم مجلدين في الفوائد[٢]، وقيل ان حرص ابن عرفة على تلقي العلم والاطلاع على دقائق المسائل تعود الى قوله: كيف انام وأنا بين أسدين الآبي بفهمه والبرزلي بحفظه ونقله[٣]. ومن أشهر تلاميذ أبن عرفة:

محمد بن خليفة بن عمر التونسي الشهير بالآبي وهو من الشيوخ الذين جمعوا بين المعقول والمنقول له تآليفه الجليلة منها اكمال الاكمال في شرح مسلم في سبعة مجلدات جمع فيه بين المازري وعياض بن موسى اليحصبي السبتي توفي سنة ٥٤٤هـ مع زيادات مفيدة من كلام ابن عرفة استاذه، وله شرح المدونة لحنون بن سعيد وله تقييد في شرح تفسير بن عرفة وهو من أشهر تقاييده أملاهُ من مجلسه من شروح واعتراضات الطلاب واسئلتهم[٤]، وكان يفخر به ويمدحه ويثني عليه ومن ذلك قوله:

يميناً بمن أولاك ارفع رتبة ... وزان بك الدنيا بأكمل زينة
بمجلس الأعلى كفيل بكلها ... على حين ماعتها المجالس ولن
فأتياك من رقاك للخلقِ رحمةً ... وللدين سيفاً قاطعاً لكل فتنة

ثم قال: اني لبار في قسمي هذا فلقد كنت أفيدُ من زوائد القائه وابداعه التي تقرأ بمجلسه في التفسير والحديث والفقه نحو الورقتين في كل يوم مما ليس في الكتب وقد كان الغاية وشاهد على ذلك تأليفه ومختصره الفقهي وضبطه المذهب مسائل واقوالاً[٥]، ومن تلاميذه أيضاً محمد بن أحمد أبو القاسم البرزلي المغربي المالكي توفي سنة ٨٤٤هـ[٦]، لازم ابن عرفة لسنين واستفاد واستفاد منه كثيراً وحمل عنه الكثير من المؤلفات، من مؤلفاته جامع مسائر الاحكام مما نزل بالقضايا من المفتين والحكام في الفتاوي.

---

(١) السخاوي، المصدر السابق، ح٩ ص٢٤١؛ الزركلي، الأعلام، حـ٧/١٧٢.
(٢) ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، الترجمة ٨١٧، ص ٢٢٧.
(٣) احمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٧٤.
(٤) السخاوي، الضوء اللامع، حـ٩/٢٤٢.
(٥) الزركلي، الإعلام، حـ٧/٤٣؛ وينظر: محمد الهادي العامري، تاريخ، ص١٦٣.
(٦) ابن مخلوف، شجرة النور، ص٢٢٧.

ومن تلاميذه أيضاً أحمد بن محمد المسيلي توفي سنة ٨٣٠هـ جمع ما حفظه من استاذه أبن عرفة أو بعض حذاق طلبته زيادة على كلام المفسرين كابن عطية واستاذه ابن عرفة له تقييد في التفسير قيده عن ابن عرفة[١]، وذكر فيه اول ما حضر عنده عام ٧٨٥هـ ومن اعيان علماء هذا العهد الذين درسوا بمدرسة ابن عرفة الأمير محمد بن أبي العباس أخو السلطان أبي فارس الذي اشتهر بالفقه والبحث والتحقيق وله أجوبة على مسائل الامام ابي الحسن الأندلسي المتنوعة في ضروبها حين وجهها الى افريقية طالباً اجوبتها فاجابه عنها الأمير الحفصي أبي العباس ونقلت عنه أقوال في شرح المدونة[٢]، وممن اشتهر بصحبته أحمد بن العباس المريض متكلم من فقهاء المالكية واحد تلامذة ابن عرفة (٧١٦-٨٠٣) شارح عقيدة الضرير في العقائد وأبو العباس أحمد يبن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بأبن قنفذ القسنطيني التقى بأبن عرفة بعد رجوعه الى قسنطينة بنحو عام ثم اتجه الى تونس سنة ٧٧٦هـ حيث قرأ على أبي عبد الله محمد بن عرفة صاحب المختصر الكبير في فقه المالكية وقد ذكره في كتابه وفيات سنة ٨٠٣هـ حيث قال: "قرآت عليه بعض (أي المختصر) وانعم بمنادلته واجازته وذلك سنة ٧٧٧هـ بدويرة جامع الزيتونة"[٣]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي قال التنبكتي "اخذ عن علماء بن باديس وورد تونس وحضر مجلس ابن عرفة ورآى ما يقع هناك من الابحاث وقام عنهم ونظم بيتين عن مجلس ابن عرفة.."[٤].

ومن تلاميذه أيضاً أبو حامد بن ظهيرة فقال عنه في معجمه "انه تفقه وبرع في الأصول والفروع والعربية والمعاني والبيان والفرائض والقراءات، رحل الناس اليه واخذوا منه وانتفعوا به ولم يكن في بلاده المغرب من جرى مجراه في التحقيق، وكانت تأتيه الفتوة من مسافة شهر....."[٥].

ومن تلاميذه أيضاً محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي فقيه بجاية وامامها وخطيبها[٦]، انتقل الى تونس والتقى بابن عرفة وأخذ عنه، له مختصر ابحاث ابن عرفة

---

(١) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ص٢٨٥.

(٢) احمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص ٧٦؛ محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب، ص١٤٦؛ ابن القاضي، درة المجال، ج٢/ ١٩٢.

(٣) ابن فرحون، الديباج، جـ٢/ص٣٣١-٣٣٢؛ الشوكاني، البدر الطالع، جـ٢/ ٢٥٥.

(٤) ابن فرحون، المصدر السابق، ص٣٣٣؛ وينظر: السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩/٢٤٦.

(٥) السخاوي، المصدر السابق، جـ٩/٢٤٦؛ وينظر: ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٢٧٤.

(٦) ابن العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، عقبة عادل نويهض، نويهض، بيروت ١٩٧١، ص ٣٧٢؛ ابن السراج، الحلل السندسية، ط ق٣/ص٥٨٢، السخاوي، المصدر السابق، جـ٩/ ٢١٦؛ نيل الابتهاج، ص ٣١٤؛ ابن مخلوف، سرة النور، ٢٦٣.

المتعلقة بكلام ابن شاس وابن الحاجب في مجلد كبير، ومن تلاميذه ايضاً ابن ناجي عيسى أبن أحمد بن محمد بن محمد أبو مهدي الغبريني، محدث حافظ نشأ بتونس وأخذ عن أبن عرفة حافظاً المذهب توفي سنة ٨١٣هـ، وابن علوان وابن الشماع وابن مرزوق الحفيد وابن فرحون والشريف السلاوي وابن عقاب وغيرهم، وممن أخذ عنه في المشرق بدر الدين الدماميني الذي لقيه أثناء رحلته للحج وغيره من الأئمة الأجلاء[١]، وبالجملة فان تلاميذ ابن عرفة كثيرون وما من طالب عالم عاصره إلا واخذ من علمه سواءاً في الحديث او الفقه او التفسير او غيرها من العلوم التي اشتهر بتدريسها.

خامساً: تصدره للتدريس والفتوى

تصدر ابن عرفة للتدريس والفتية فعن رآيه تصدر الولايات وبأشارته تعين الشهود، ولم يرض لنفسه الدخول في الولايات بل اقتصر على الامامة والخطابة، وانقطع للاشتغال بالعلم لتجويد القراءات واجمع على محبته العامة والخاصة وانتشر علمه شرقاً وغرباً فكان الناس يرحلون اليه للأخذ منه والانتفاع به فكانت الفتوى تأتيه من مسافة شهر ومن كافة الأقطار الاسلامية فكان يبرهم ويحسن اليهم في قضاء حوائجهم[٢]، ويعتبر كتابه المختصر في الفقه من أشهر مؤلفاته الذي انتشر شرقاً وغرباً وتداولته الناس للانتفاع به والذي يعد من المقررات العلمية في معرفة فقه الامام مالك في عصره والعصور التالية لذلك اقبل الناس على الأخذ منه والانتفاع به، وله مسائر فقهية كثيرة مذكورة في كتب المالكية المتأخرين الذين نقلوا عنه كثير من المسائر الفقهية من امثال التاج والاكليل في شرح مختصر خليل للمغربي وشرح مختصر خليل للحرشي والشرح الكبير للشيخ الدرديري[٣].

مؤلفاته:

للامام بن عرفة مؤلفات كثيرة لم يصلنا أغلبها وقد قضى معظم سنوات حياته في الاملاء والتدريس وصنف في علوم القرآن والتفسير والفقه والحديث والنحو والأصول والمنطق وعلم الكلام وغيرها[٤].

(١) عادل نويهض، معجم السلام، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٥٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٩/ ٢٤٧؛ ابن خلدون، الرحلة، ص ٢٤٩؛ التنبكي، نيل الابتهاج، ص ١٩٣.

(٢) السخاوي، المصدر السابق، ج٩/ ٢٤٧؛ نيل الابتهاج، ٣١٤.

(٣) ابن الجزري، طبقات القراء، ط بيروت ١٩٧٥، جـ ٢/ ٢٥٧.

(٤) ابن الجزري، المصدر السابق، جـ ٢/ ٢٥٧.

ومن أشهر مؤلفاته(*):

١- كتاب في الفقه سماه (المختصر الكبير) الذي يبلغ عشرة أسفار جمع لقاب امهات النوازل والفروع وكثرة البحث مع ابن شاس في الجواهر وابن بشير في التنبيه، وهو من أشهر مؤلفاته انتشر شرقاً وغرباً ويعد من المقررات العلمية في معرفة فقه الامام مالك في عهده والعصور التالية(١)، وقد اقتبست عن المختصر الكثير من الآراء التي عرف بها ابن عرفة كما سبق ان ذكرنا.

٢- له تأليف في أصول الدين عارض به كتاب الطوالع للبيضاوي.

٣- اختصر الموفي في الفرائض اختصاراً وجيزاً.

٤- المختصر الشامل في التوحيد.

٥- الحدود في التعريفات الفقهية.

٦- تفسير القرآن الكريم والكتاب (مطبوع) ولكنه تضمن تفسير سورة الفاتحة والبقرة فقط.

٧- المختصر في علم الكلام.

٨- المختصر في علم المنطق.

٩- المختصر في علم اللغة والنحو.

١٠- التبيهات على الكتب المدونة في الفقه جمع فيه فوائد وغرائب.

١١- شرح المختصر لأبن الحاجب في الفقه.

١٢- نظم في قراءة يعقوب وله شعر من ذلك قوله

بلغت الثمانين وبضعا لها   وحاز على النفس صعب الحمامِ
وامثال عصري مضواد فقه   وصاروا خيالاً كطيف المنامِ
وكانت حياتي ببلطف جميلٍ   لسيف دعايَ ربي في المنامِ

١٣- كتاب الطرق الواضحة في عمل الناصحة.

١٤- المبسوط فيي سبعة أسفار ذكره السخاوي وقال "الا انه شديد الغموض".

(*) مطبوع على الانترنيت.

١- طبع هذا الكتاب وهو في فقه المالكية ذكره ابن قنفذ في كتابه الوفيات ،ص٣٧٩، ذكره أيضاً ابن الجزري، نهاية النهاية، ج٢، ص٢٤٣.

٢- احمد بابا في نيل الاجتهاد ص٢٧٤، السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ، ص٣٩.

٣- ابن العماد في شذرات الذهب، ج٧/ ٣٨.

٤- ابن العماد في شذرات الذهب ج٧/ ٣٨.

٥- ابن حجر العسقلاني في انباء الغمر ١٩٢/١.

٦- السخاوي الضوء اللامع ج٢٤٤/٩.

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ٢٤٢.

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه

أثنى عليه تلامذته ثناءً جميلاً وامتدحه كل من ترجم له من كتاب تراجم الطبقات فقال ابن الجزري: "فقيه تونس وامامها وعالمها وخطيبها، ولد في تونس وتبحر بالعلوم وفاق الاصلين والكلام وتقدم في الفقه والحديث والتفسير والنحو..."(١). وقال أيضاً "ولم تنزل الحجاج ترد عليه بأخباره السارة متى الحقت به في الديار المصرية فقدمها حاجاً فاجتمعنا به بالقاهرة.... واستجزته تجاه الكعبة فأجازني واولادي ثم رجعنا الى الديار المصرية فاجتمعت به وانشدته وانشدني وتوجه لبلاده ولم أرى مغربياً افضل منه... "(٢)، وقال عنه الصلاح ابن ظهيرة في معجمه: "انه تفقه وبرع في الأصول والفروع والعربية والمعاني والبيان والفرائق والحساب والقراءات وكان رأساً في العبادة والزهد ملازماً للاشتغال بالعلم، رحل الناس اليه وأخذوا منه وانتفعوا به ولم يكن في بلاد المغرب من جرى مجراه في التحقيق وكانت تأتيه الفتوة من مسافة شهر.... "(٣)، وقال السيوطي في طبقات النحاة: "محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي امام علامة ولد بتونس وقرآ بالروايات وبرع في الأصول والفروع العربية والمعاني والبيان والفرائق والحساب وسمع من ابن عبد السلام الموطأ واخذ عنه الفقه والأصول والصحيحين من الواد آشي وكان رأسا في العبادة والزهد والورع..."(٤)، وقال أيضاً: "له في العلوم ما اجتمع له وكانت الفتيا تأتي اليه من مسيرة شهر ولم ير الراؤون افضل منه..."(٥). لذلك يعتبر ابن عرفة من العلماء الذين برزوا ليعطوا القرن الثامن الهجري سمات العلمية الواضحة من خلال عدد من المؤلفات التي القوها في العلوم المختلفة، في وقت قل فييه الطلب زندر الابداع وقد عبر عنه بانه مبعوث القرن الثامن الهجري لتجديد الثقافة الاسلامية واحياءها، فقد تخرج من مدرسة ابن عرفة الكثير من الاعلام الذين زاروا الشمال الافريقي بتأليفهم وجودتهم الى ان طوت الايام اشخاصهم فذهب جانب عظيم من تراث الثقافة الاسلامية بذهابهم.

وفاته:

توفي ابن عرفة سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م(٦)، ودفن بالزلاج بتونس في عهد الامير السابع عشر أبي فارس عبد العزيز الحفصي، عاش ٨٧ سنة وقال عنه السخاوي: "كان افقه أهل المغرب... برع في الأصول والفروع..."(٧).

---

(١) السخاوي، المصدر السابق، ج٩/ ٢٤٢.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ٢٤٢؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص ١٦١.

(٣) السيوطي، تذكرة الحفاظ، ص ١٣٩.

(٤) السيوطي، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٥) السيوطي، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٦) ابن فرحون، الديباج، جـ ٢، ص ٣٣٢؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، جـ ١/ ١٩٢؛ الزركلي، الاعلام، جـ ٩/ ٢٤٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج، ٩/ ٢٤٢.

(٧) السخاوي، المصدر السابق، ج، ٩/ ٢٤٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر

- ابن فرحون المالكي،

الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق د.محمد الصمدي ابو الغور، دار التراث (د.ت).

- أبن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب

الوفيات، تحقيق وتعليق عادل نويهض، بيروت ١٩٧١.

- ابن العماد الحنبلي،

شذرات الذهب في اخبار من ذهب، بيروت (د.ت).

- أبن حجر العسقلاني،

أبناء الغمر بأبناء العمر، القاهرة ١٩٧٥.

- البغدادي، حاجي خليفة،

هدية العارفين، مطبعة المثنى، بغداد ١٩٥٢.

- التنبكتي، احمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (القاهرة ١٩٨٥).
- السيوطي، جلال الدين

ذيل تذكرة الحفاظ، حيدر آباد ١٣٣٣هـ

- السخاوي، شمس الدين حمد بن عبد الرحمن

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة بيروت (د.ت).

- الشوكاني، محمد بن علي،

البدر الطالع، القاهرة ١٣٤٨هـ

- كحالة، عمر رضا

معجم المؤلفين، مصر ١٩٦٥.

- الرزكلي، خير الدين

الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من احرب المقربين، بيروت ١٩٦٩م.

- ابن مخلوف، محمد بن مخلوف،
- شجرة النور الزكية (بيروت ١٣٤٩هـ).
- عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر، بيروت ١٩٨٠.

ثانياً: المراجع

- ابن عاشور، محمد الفاضل

١- التفسير ورجاله، ط (تونس، ١٩٦٦م).

٢- أعلام الفكر الإسلامي، ط (تونس، ١٩٧١م).

- العامري، محمد الهادي

٣- تاريخ المغرب العربي، (تونس، ١٩٧٤م).

- احمد بن عامر

٤- الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، ط (تونس، ١٩٧٢م).